والعرض حقيقته : إظهار شيء لمن يراه لترغيب أو تحذير وهو يتعدى إلى الشيء المظهر بنفسه وإلى من يظهر لأجله بحرف (على) وهذا يقتضي أن المعروض عليه لا يكون إلا من يعقل ومنزلا منزلة من يعقل وقد يقلب هذا الاستعمال لقصد المبالغة كقول العرب " عرضت الناقة على الحوض " وحقه : عرضت الحوض على الناقة وهو الاستعمال الذي في هذه الآية وقوله في سورة الأحقاف (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) . وقد عد علماء المعاني القلب من أنواع تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ومثلوا له بقول العرب : عرضت الناقة على الحوض . واختلفوا في عدة من أفانين لكلام البليغ فعدة منها أبو عبيدة والفارسي والسكاكي ولم يقبله الجمهور وقال القزويني : إن تضمن اعتبار لطيفا قبل وإلا رد .

وعندي أن الاستعمالين على مقتضى الظاهر وأن العرض قد كثر في معنى الإمرار دون قصد الترغيب كما يقال : عرض الجيش على أميره واستعرضه الأمير . ولعل أصله مجاز ساوى الحقيقة فليس في الآيتين قلب ولا في قول العرب : عرضت الناقة على الحوض قلب ويقال : عرض بنو فلان على السيف إذا قتلوا به . وخرج في الكشف آية الأحقاف على قولهم : عرض على السيف .

ومعنى عرضهم على النار أن أرواحهم تشاهد المواضع التي أعدت لها في جهنم وهو ما يبينه حديث إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي " إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك ا يوم القيامة " .

وقوله (غدوا وعشيا) ناية عن الدوام لأن الزمان لا يخلو من هاذين الوقتين .

وقوله (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) هذا ذكر عذاب الآخرة الخالد أي يقال : أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وعلم من عذاب آل فرعون أن فرعون داخل في ذلك العذاب بدلالة الفحوى .

وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وأبو جعفر ويعقوب (أدخلوا) بهمزة قطع وكسر الخاء . وقرأ الباقون بهمزة وصل وضم الخاء على معنى أن القول موجه إلى آل فرعون وأن " آل فرعون " منادى بحذف الحرف .

(وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار [47] قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن ا قد حكم بين العباد [48]) E A يجوز أن يكون (إذ) معمولا ل (اذكر) محذوف فيكون عطفا على جملة (وأنذرهم يوم الآزفة) والضمير عائدا إلى (الذين يجادلون في آيات ا بغير سلطان) وما بين هذا وذاك اعتراض واستطراد لأنها قصد منها عظة المشركين بمن سبقهم من الأمم المكذبين

فلما استوفي ذلك عاد الكلام إليهم . ويفيد ذلك صريح الوعيد للمشركين بعد أن ضربت لهم الأمثال كما قال تعالى (وللكافرين أمثالها) وقد تكرر في القرآن موعظة المشركين بمثل هذا كقوله تعالى (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) الآية في سورة البقرة وقوله (قالت أولاهم لأخراهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار) الآية في سورة الأعراف .

ويجوز أن تكون (وإذ يتحاجون) عطفا على جملة (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) لأن (إذ) و (يوم) كليهما ظرف بمعنى " حين " فيكون المعنى : وحين تقوم الساعة يقال : أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وحين يتحاج أهل النار فيقول الضعفاء الخ .

وقرن (فيقول الضعفاء) بالفاء لإفادة كون هذا القول ناشئا عن تحاجهم في النار مع كون ذلك دالا على أنه في معنى متعلق (إذ) وهذا استعمال من استعمالات الفاء التي يسميها النحاة زائدة وأثبت زيادتها جماعة منهم الأخفش والفراء والأعلم وابن برهان وحكاه عن أصحابه البصريين . وضمير (يتحاجون) على هذا الوجه عائد إلى (آل فرعون) لأن ذلك يأبه قوله (وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم) وقوله (أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) ولم يأت آل فرعون إلا رسول واحد هو موسى عليه السلام فيعود ضمير (يتحاجون) إلى معلوم من المقام وهم أهل النار .

والتحاج : الاحتجاج من جانبين فأكثر أي إقامة كل فريق حجته وهو يقتضي وقوع خلاف بين المتحاجين إذ الحجة تأييد لدعوى لدفع الشك في صحتها